رابطة العالم الإسلامي

الأمانة العامة

الإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

كثرة الفتن والولوغ في الدماء المعصومة

إعداد

الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي

رئيس جامعة دار العلوم ندوة العلماء - الهند

مقدم إلى

المؤتمر الإسلامي العالمي

مكافحة الإرهاب

الذي تنظمه

رابطة العالم الإسلامي

تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين

الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود

مكة المكرمة

٣ - ٦ / جمادى الأولى / ١٤٣٦ هـ، الموافق: ٢٢ - ٢٥ / فبراير / ٢٠١٥ م

رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية

صندوق البريد (٥٣٧) أو (٥٣٨) مكة المكرمة (٢١٩٥٥)

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠٠٩١٩ – الفاكس: ٥٦٠١٣١٩ – ٥٦٠١٢٦٧

برقياً: رابطة – مكة، تلكس: ٥٤٠٠٠٩ و٥٤٠٣٩٠

www.themwl.org

البريد الإلكتروني للإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

conferences@themwl.org

واتس أب: ٠٠٩٦٦٥٠٣٣٩٦٣٢٠ :whatsApp

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، محمد بن عبد الله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الله تعالى خلق الإنسان وجعل في طبيعته الأُنس والمحبة مع أبناء جلدته، والأنسُ والمحبة يحملان الناسَ على تعاون بعضهم مع بعض، وبهذا يعيش الإنسان بسلامة وأمن، والإسلام يؤكد على هذا تأكيداً بالغاً، وقد سمى اللهُ تعالى في القرآن الكريم دينَ الإسلام بالسلْم فقال: ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]، وأمر رسولُ الله ﷺ أن يرى الإنسانُ غيرَه في نفس درجته ومكانته قال: «أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى»[(١)] و قَالَ في خطبته أيامَ التشريق: «**أَيُّهَا النَّاسُ، أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، أَلاَ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلاَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، وَلاَ أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، إِلاَّ بِالتَّقْوَى**»[(٢)].

وقص الله تعالى في القرآن الكريم قصة ابني آدم حين اختلفا فقال أحدهما للآخر: سأقتلك، وصبر الآخر حتى صار مقتولاً، فذكر الله تعالى أنه كمَن قتل الناسَ جميعاً فقال: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، ونهى الله تعالى عن العدوان الآخرين، وأذِنَ للمظلوم أن ينتقم من

(١) كنز العمال.

(٢) أخرجه البيهقي في شُعب الإيمان، رقم: ٥١٣٧.

ظالمه بشرط ألا يتجاوز الانتقامُ مقدار الظلم الذي وقع عليه، فإنْ تجاوز ذلك المقدار فإنه يُعَدّ ظالمـًا، قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤].

وقد أوضح علماء المسلمين أنه لا إرهاب في الإسلام؛ حتى إن إجبار غير المسلمين على قبول الدين ممنوع في الإسلام، فإذا وقع اعتداء على أحد بسببٍ معقول؛ فمن الضروري معالجة ذلك السبب حتى لا يقع مرة أخرى، فالنفوس والأرواح لها الاحترام ولا يجوز ظُلمُها والاعتداء عليها دون سبب شرعي، ولقد أوضح رسول الله ﷺ ذلك في خطبة الوداع فقال: «**إن دماءَكم وأموالَكم حرامٌ عليكم كحُرمة يومِكم هذا، في شهرِكم هذا، في بلدِكم هذا، ألا كل شيءٍ من أمر الجاهلية تحت قدميَّ موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أولَ دمٍ أضع من دمائنا: دمَ ابنِ ربيعة بنِ الحارث؛ كان مسترضعـًا في بني سعد فقتلَتْه هُذيل، ورِبا الجاهلية موضوع، وأولُ رِبـًا أضع مِن رِبانا: ربا العباس بن عبد المطلب؛ فإنه موضوع كله، فاتقوا اللهَ في النساء؛ فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجَهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فُرُشَكم أحداً تكرهونه، فإنْ فعلْنَ ذلك فاضرِبوهن ضربـًا غير مبرِّح، ولهن عليكم رِزقُهن وكِسوتُهن بالمعروف، وقد تركتُ فيكم ما لن تَضِلّوا بعده إنِ اعتصمتم به: كتابَ الله، وأنتم تُسألون عني، فما أنتم قائلون؟**» قالوا: نشهد أنكَ قد بلّغْتَ وأدّيْتَ ونصحتَ، فقال بإصبعه السبّابة يرفعها إلى السماء ويَنْكُتُها إلى الناس: «**اللهم اشهَدْ، ثلاث مرات**»[(١)].

(١) رواه مسلم في صحيحه.

ونرى في سيرة الرسول ﷺ أنه كان يعفو ويصفح، حتى إنه لم يكن ينتقم لنفسه على ظُلمٍ وقع عليه، فكم آذاه المشركون والمنافقون، ولكنه لم يكن يعاملهم معاملة الانتقام، عملاً بما أشار به القرآن الكريم: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠]، وربَّى بذلك أصحابَه رضي الله عنهم فصار المجتمع الإسلامي تحت تربيته ﷺ خيرَ مجتمع في التاريخ الإنساني، ولكن الذين جاؤوا بعدهم من الناس غلبَتْ عليهم الحمية الجاهلية، فكان منهم من تجاوزوا الحد المسموح به لهم، واعتدوا على مَن خالفهم، ووقع منهم اعتداء أو انتقام زائد عن الحد المسموح به، ولكنَّ أمثلة ذلك قليلة جداً.

فنظراً إلى بعض الأمثلة من ذلك: اتهم بعضُ أعداء الإسلام أبناءَ الإسلام بذلك، بل تجاوزوا فاتَّهموا الإسلام كذلك، وهو خطأ وظُلم منهم؛ لأن الإسلام ينهى نهْيًا شديداً عن الاعتداء والظلم بين الناس، وهو أيضًا منهيٌّ عنه في كل دين ونظام، ولكن الاعتداء والإرهاب أصبح يقع في كل أنحاء العالم،وذهب ضحاياه أفرادُ الناس في مختلف الأوطان.

لقد ورد وعيد شديد في كلام الله تعالى على استهداف الأبرياء بالاعتداء والظلم،فالله رحيم كريم يُحبّ لخلائقه السلامةَ من الأذى، والأمنَ في الحياة، ولقد جعل الملائكةَ حرسًا للإنسان كما يظهر من كلامه حيث يقول: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، وحِفظ الملائكة هذا إنما يأتي في الأحوال الطبيعية ولمن لم يرتكبوا أمراً سيئًا، وقد جاء في سورة الكهف أن الله تعالى هيأ للخَضِر أن يخرق سفينةً حفظًا من أن ينتزعها ملِكٌ ظالم، وهيأه ليُخفى كَنزاً لأبناءٍ صغار تحت جدارٍ حِفظًا من أن يسقط الجدار الذي كان الكنز مدفونًا تحته، فإذا كان كذلك؛ فكيف يرضى الله من إنسانٍ قويٍّ أن يقتل إنسانًا بريئًا فضلاً عن أن يصيبه بأذى؟

وما يفعله بعضُ المتطرفين بأن يقتلوا الأبرياء، فإنهم يستحقون عقاب الله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

والحوادث التي تقع في أماكن عامة يذهب ضحيتها نفوس بريئة؛ غير مقبولة في رأي كل رجل سليم الفكر، والآية القرآنية السابقة تذم ذلك ذماً شديداً، ولا أظن رجلاً مسلماً عالماً بأوامر الله تعالى يجيز مثلَ هذا العمل، وعلى أهل العلم بالأوامر الشرعية الإسلامية بيان حُكْمها في الدنيا وعاقبتها السيئة في الآخرة.

لكن الحوادث التي تنسب إلى أفراد المسلمين؛ كثيراً ما تكون نسبتها إليهم غير صحيحة، فكثيراً ما يرتكبها غيرهم وتُنسَب إلى المسلمين تشويهاً لسمعتهم، وقد ثبت ذلك مراتٍ ومرات، والإعلام المغرِض يزيد الطين بِلّة؛ فيُضخِّم خبر نسبة الجريمة إلى المسلمين فيسيء بذلك إلى الإسلام، فيجب أن لا نُسرع في تصديق نسبة مثل هذه الحوادث للمسلمين، ولكن إذا ثبتت نسبتها إلى المسلمين وثبت أنهم استهدفوا الأبرياءَ؛ فلابد من إيقاع العقوبة الصارمة عليهم ليكون ذلك عقاباً لهم ولغيرهم ونكالاً لأمثالهم، وإذا ظهر أن مرتكب هذا العمل قام به بسبب من الأسباب اللائقة مما يقتضيه الحق والنظام؛ فيجب أن يزال ذلك السبب الذي حمل صاحب العمل على فِعْل ما فَعَل.

ومن الأمثلة على ما قلنا: ما وقع في فرنسا من كثرة وتتابع الإساءة إلى نبينا محمد ﷺ، فغضب بعضُ المسلمين وحمَلهم ذلك على الاعتداء والانتقام لرسولنا المفدَّى ﷺ.

ونرى أن غلبة المصالح السياسية لدول قوية؛ تبعث على أعمال المؤامرة في هذا الشأن، كما أن غلبة طلب الجاه والمال في نفوس غالبية الناس؛ تبعث على ارتكاب الجرائم ضد منافسيهم، ويُنسب العدوان والإرهاب إلى غير فاعليه، فينجو الظالم من العقوبة، ويغضب المظلوم المتهَم فيرتكِب عملاً يتجاوز حدودَ حقه في الانتقام.

فما هو السبيل لمعالجة هذا الفساد؟

لا شك أن إيقاع العقوبات على مثل هذه الوقائع مفيد إلى حدٍّ لا بأس به،ففيه نكالٌ للآخرين، ولكنه لم يعُد كافيًا لمنع هذا الفساد،بل نحتاج إلى إصلاح النفوس، ومنْع أسباب الجريمة، فإن كان عمل الإرهاب لغرض سياسي باتهام طائفة معارضة لا أصل له، فمن الضروري الاعتناء بإزالة ذلك السبب ويعالَج علاجًا ناجعًا.

ويكون لذلك طريقان؛ أفضلهما: الموعظة الحسنة، والتخويف من عقوبة الآخرة، حيث ذكره القرآن الكريم كأحسن منهج للإصلاح ونشر الخير، فقال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥]، ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤].

ولا شك في أن رجال الحُكم يملكون زمام تنفيذ الأحكام، فلديهم قوة لردع الشر والعقوبة على الجريمة بعد التحقق منها ومعالجة أسبابها معالجة عادلة؛ لأن جريمة الإرهاب قد تكون أسبابها متعلقةً بالانتقام، وعاطفة الانتقام قد تبلغ إلى حد الجنون، ولذا يجب التحقق هل هو عملية انتقام أَمْ مؤامرة لتحقيق هدف من الأهداف السياسية أو الدينية.

ونحن حينما نبحث في شؤون العالم الحالية في شأن العلاقات السياسية والاقتصادية من الشرق والغرب؛ نجد أن تشويه سمعة الإسلام إنما ينشأ من أصحاب الأغراض الخاصة ومن القوى المستهدفة لأغراضها، وذلك عن طريق الاتهامات الكاذبة وتشهيرها بالإعلام، وقد تقدمت وسائل الإعلام وتوسعت كثيراً، فهي تؤثر على الأذهان والنفوس، وهي لا تقوم بالتفريق بين الحق والباطل، بل تعتني بتغليب ما تستفيد به، وقد تجعل الأمر الكبير صغيراً، وتجعل البسيط التافهَ أمراً هائلاً خطيرا، خاصة وأن مقاليد الإعلام العالمي في أيدي أصحاب المال والأهواء والنفوذ، وأكثرهم من أنصار الصهيونية العالمية، فكل أمر تكون فيه مصلحة إسلامية يَعرضه الإعلام بصورة مشوّهة، وكل أمر تَظهر فيه منقصة للمسلمين يعرضونه بصورة مكبرة، وما أحسن ما قاله أحد الشعراء واصفاً لهذا الأمر:

قَتْلُ امْرِئٍ في غابةٍ جريمةٌ لا تُغْتَفَرْ ** وقَتْلُ شَعْبٍ آمِنٍ قَضيةٌ فِيها نَظَرْ

فنرى كم من شعوبٍ آمِنةٍ في العالم الشرقي؛ اعتدَت عليها قوىً غربية بحُجة نشر الأمن والسلام، وذهب ضحايا لهذا الاعتداء آلاف وآلاف من أبرياء الناس، وعَرضه الإعلام في صورة حسنة، وإذا حدث ما يسيء إلى مصلحة قوة غربية؛ فإن وسائل الإعلام تَعرض هذا الحادث كأخطر حادث، وتثير بذلك إعصاراً عالميًا، وإذا وقع اعتداء من مسلم سمَّوْه بالإرهاب، وظهرت أمثلة لذلك في وقائع بعد تحقيق أسبابها ثبت أنه لا دخْل فيها لأحد من المسلمين، وثبت بعد التحقيق أن مرتكبيها غير مسلمين، مع أن الإعلام قد نسبها إلى المسلمين وقام بالدعاية بذلك.

فعلينا ألا نتهم شخصاً لمجرد شبهة أو ظن، فالظن ظلم صريح، والله يقول: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨]، والعمل بالظن قد يكون سبباً

للاعتداء والظلم، وفي عامة الأحوال لا يمكن أن يصدر من مسلم اعتداءٌ على البريء إلا نادراً، وبسبب وجيه، ولقد تعامل الإعلام الغربي بمنهج ظالم مع قضايا البلاد الإسلامية، وكل إرهاب يقع فيها تجعله وسائل الإعلام صادراً من مسلم إرهابي، قبل أن تتحقق من فاعله هل هو مسلم أوْ لا، نسأل الله الهدايةَ للمسلمين، وألا يسلط عليهم أعداءَهم، إنه سميع بصير.